الفصل السادس

تطور الاخراج

(اوروبا واميركا ، ١٩٠٢ - ١٩٠٨)

لقد سجّل فيلم « رحلة في القمر » ذروة اعمال ميليه . وقد احتفظ بهذا المركز بعض الوقت . وفيلما « مملكة الجن » و « رحلة خلال المستحيل » هما طرفتاه دون شك . ففيلم « مملكة الجن » ، المستوحى من قصة قديمة خيالية لشاتله « الوعلة في الغاب » ، يجري في ديكور غوّاصات ، وتظهر الصور ان مخيلة ميليه الغريبة جاءت بالروائع . و « رحلة خلال المستحيل » اخطأت في ان تكون نصاً جديداً « لرحلة في القمر » ، وان تتناول كل دعائمها تقريباً : الرحلة بين الكواكب ، المصنع الوهمي ، جمعية المجانين ، رؤية الكواكب والبروج . ويمكن توجيه اللوم نفسه لفيلم « اربعمائة ضربة للشيطان » الذي هو نقل ، في القسم الاكبر منه ، عن فيلم سحري مُثّل في شاتله ، واضاف افضل قسم منه الى فيلمه : سير عربة نجومية . وفي نهاية حياة ميليه سنة ١٩١٢ كان فيلم « اكتساح القطب » المشهور إعادة نشر للافلام الناجحة

القديمة والاعمال الاكثر شهرة لاستديو مونتراي والتي ضمت اليها دمية « عملاق الثلوج » الضخمة المتحركة بواسطة الآلة .

وزاد جورج ميليه، وهو في ابان مجده، من التشديد على صيغته حول « المسرح المحول الى سينما » . فجعل من بعض الاوبرات والأوبرات الهزلية أفلاماً : فوست ، هـــلاك فوست ، حلاق اشبيلية ، ريب Rip . وتناول في فوست الإخراج الكلاسيكي للمسرح ، فوضع في الديكورات نفسها الاشخاص انفسهم في نفس الوضعات والملابس .

واذابدت « الف ليلة وليلة » انها مجبولة بشيء من النزعة الشرقية السهلة ، فان قريحة محبوبة كذوباً نتج منهـا « غزوة باريس — مونت كارلو في ساعتـــين ، نفق تحت المانش ، غزوة باريس — نيويورك » او « روبير ماكير وبرتران » ، كما هي ايضاً « المدنية خلال العصور » ، ملأى بالمشاغل الفلسفية والاجتماعية الساذجة ، ولكنها طيّبة كريمة .

وليس هناك اي فيلم من هذه الافلام يعادل « الجنية كارابوس » المصنوع للزبائن من الاطفال « لانكلو ساكسون » . ساحرات تعتمر قبعات مروّسة ، قصور معمورة ، سيدات جميلات عاريات من الرحمة ، شعراء جوالون ، تاراسكونيون ، اسيرات يستثرن الشفقة ، اشباح منتصف الليل .. ، وكانت كل هذه الاسقـــاط الرومنطيقية تنضم من فوق القرن التاسع عشر الى الاشبـــاح النورانية التي كان يظهرها روبرتسون في فوانيسه السحرية اثنـاء الثورة الفرنسية ، إبان ازدهار **الرواية السوداء** .

وواقعية ميليه ، واقعية « قضية دريفوس » او « روبنسون كروزو » ، لم تكن قد اختفت بل اتحدت مع ما هو خيالي في بعض افلام السحر : جاك منظف المداخن ، مائتي الف ميل تحت البحار ، ملاك الميلاد . وسيطر ميليه بوصفه سيداً في فيلم « مسيبي الحريق » التي اسماها مؤلفها ايضاً « تاريخ جريمة » لانهـــا كانت مستوحاة من فيلم زيكا . انه رضي ان يدخل في هذا العمـــل المتنوّع ، المصوّر سينمائياً ، مشهداً يحدث في ديكور طبيعي . ويشذ شيء وحيد : ان ميليه لم يخرج من الاستديو طوال عشر سنوات . ولكنه حين امتدح الديكورات التي صنعهـا كلوديل وفقاً لتصاميمه ، فربما كان نعت « الواقعي » هو الذي يتردّد دائماً اكثر من سواه .

وبعد سنة ١٩٠٦ اراد ميليه ان ينافس باته . فضاعف هزلياته وسقط في الابتذال . وزاد من مصاعبه المالية انتـاج الكثير من الافلام التي لم تكن تباع جيداً .

ومع ذلك فقداستطاعت وكالة نيويورك ان تكون ذا دخل جيد . وشرع مديرها غاستون ميليه وولده بول في انتاج افلام الوسترن ، في شيكاغو في نهاية تشرين الاول ١٩٠٨ ، بقيادة الاميركي لنكولن ج . كارتر . وكانت تبـــاشير الشركة مسرة ولكن قسماً منها تفلت من جورج ميليه . وقد اضطر هـــذا الفردي الفخور **بانه لم يكن ابداً في شركة** الى الاستغاثة بشركة التوصية ــ شارل باته وقدم لها مسرحه والاستديو كضمانة .

وهكذا استطاع ميليه ان ينتج فيلمه المعتدل «أوهام البارون

دي مونهاوسن» ، وفيلمه الرائع «اكتساح القطب» و«سندريون» جديد» ، و«رحلة عائلة بوريشون» وكانت افلامه توزع بواسطة باته فقط على ان تسدد قيمة تأجيرها المبلـــغ المسلف . ولكن اخفاقها كان كلياً ، فاتهم ميليه زيكا بقطع بعض اجزائهـا . ولم يكن عدم نجاحها المالي ذا نتيجة سيئة في فانسين لانه يتيح تصفية منافس منهار . ومع ذلك فلم تكن دسائس الخصم فقط هي التي سببت هذه النكبة . فبالرجوع الى الماضي ، يتبين لنا ان انتصار «اكتساح القطب» اليوم يعود الى انه حفظ لنا الصفات البدائيـة سليمة لفن في طفولته . ولكنه معاصر تقريباً للكابيريا Cabiria الايطالية ، ولأفضل افلام ماكس لاندر وبدايات شابلن وافلام غريفث الكبيرة الاولى ، بينما يبـدو كأنه مفصول عنها بقرون طويلة . ان افلام ميليه أصبحت بالية وغير مفهومة تقريبـاً من جمهور سنة ١٩١٢ — اذا استثنينا الاولاد .

والصعوبات الفجائية لفرع نيويورك زادت الوضعيـة سوءاً . وكان غاستون ميليه قد ابحر ، مضحياً في سبيل الذوق العصري ، مع مديري الاجهزة والممثلين للقيام بجولة في الباسيفيك يصور فيها افلاماً . وبعد قضاء سنة في هذه الجولة البحرية اللطيفة ، وحين فتحت علب الافلام التي لم تتخذ لها احتياطات التلحيم وجدت معظم الافلام فيها متعفنة وغير صالحة للاستعمال . لقد انتهت الغزوة بنكبة . اما في باريس فقد اضطر جورج ميليه ان يوقف انتاجه الى الابد بينما كان الحجاب يهددون مسرحه والاستديو . وقد احتفظ له قانون تأجيل الدفع سنة ١٩١٤ ، بمونتراي لبضع سنوات حيث

جعل من الاستديو مسرحاً يمثل فيه الاوبرا مع اولاده امام جمهور من سكان الضواحي . وطردته نهاية العداوات من هـــذا الملجأ الاخير فباع افلامه السلبية بالوزن ؛ وحولت طرفه الى امشاط وفرشايات اسنان ؛ واصبح هذا الرجل الذي كان غنياً ، وهو في الستين من عمره ، ولسنوات عديدة ، صاحب كوخ لبيع الدمى قائم في مجاري الهواء في محطة مونبارناس . وقد اكتشفه الصحفيون نحو سنة ١٩٢٨ فمسحوه مبشراً وشاعراً ، ونظمت حفلة لهذا الرائد الاول ، وزين صدره بالاوسمة ، ووضع في بيت حقير منعزل حيث مات فيه سنة ١٩٣٨ .

وكان غومون منافساً آخر لباته كميليه . لقـــد ظل ليون غومون مدير الكونتوار العام للتصوير الشمسي وقتاً طويلاً يعتبر بيع آلات التصوير صناعته الرئيسية وتجارة الافلام شيئاً لاحقاً . وحققت امينة سره اليس غي بعض الاخراجات ، كان اولها سنة ١٨٩٨ فيلم « حوادث رأس عجل » . وبعد ذلك قاد هنري غاله Gallet ، وهو معلن قديم لسينما دوفايل ، انتاج افلام مأساتية او هزلية ، مثل « جريمة شارع التامبل » او « السيكارة الاولى » . وفي سنة ١٩٠٥ جعل نجاح باته شركة غومون تعقـــد العزم على الشروع بالانتاج السينمائي بخطوة كبيرة . فبني في بوت—شومون اكبر مسرح للوضعات في العالم وقاعة زجاجيـة كبيرة تستطيع استيعاب عشرين استديو على نسق استديو ميليه .

وفيكتوران جامه Jasset ، الذي كان منظماً قديماً للتمثيل الايمائي في « نادي سباق الخيل » ، انتج بعـــد « أحلام مدخن

الافيون » فيلم « حياة سيدنا يسوع المسيح » وخصصه لمنافسة فيلم باته « آلام » . وقد حقق جاسه بزجـــه الاستديو بديكور فوتنبلو الطبيعي عملاً رائعاً دون سذاجة ، مستوحى من التلاوين الاكاديمية لجيمس تيسو الحائز على اكليل من (الصالون) .

وجاسه ، بعد اختلافه مع ليون غومون ، اشترك مع جورج هاتو بانتاج افلام في مرسيليا لم تلاق النجاح . وبعد هذه الانطلاقات اصبح لويس فوياد مديراً فنياً لاستديوهات غومون .

ان هذا الجنوبي المثقف المدقق كان صحفياً في صحيفة « الصليب » عندما جعلته الصدفة يكتب السيناريو . وبتصديه فيما بعد للاخراج فإنه مارس جميع الانواع ما عدا الافلام السحرية التي أبطل طرازها سنة ١٩٠٦ . وكانت افلام الحيل اول شيء نجح فيه لانه حققها في الهواء الطلق متبعاً المثل الانكليزي . وهكذا هيأ اختفاء هـذا النوع بضمه الى الفيلم الهزلي . وانشأ ايضاً مواضيع هزليـــة بسيكلوجية مشتقة من الفودفيل (١) Vaudeville اتخـــذ الهجاء الاجتماعي مكانه فيها ، حيث كان يمارس في الغالب ضـد الخدم والعمال المضربين .

وغومون الذي كان اكثر استمراراً في استبـــدال تأجير الافلام ببيعها ، كان الرابح الاول من عملية « قلب نظام الحكم » التي قام بهـا باته . وقد اضطر الى تعزيز انتاجه بتعاقده مع إتيان ارنو واميل كوهل وجان ديران وغيرهم .

ان اقتصاداً محكماً سيطر على حركة استديوهات غومون .

---

(١) مهزلة خفيفة مؤسسة على العقدة والخطأ . ـ المعرب ـ

ولكن الشركة لم تكن تعوزها رؤوس الاموال فقد كانت مدعومة بالمصرف السويسري الفرنسي القوي (هو اليوم الكريدي الصناعي التجاري » ومرتبطة بالصناعة السويسرية الالزاسية الكبرى وجماعة (آزاريا) الكهربائية . وهكذا استطاع العمل ان يجتاز ازمة سنة ١٩٠٧ - ١٩٠٨ رغم العجز الضئيل ، دون ان ينقطع تقدم عالمي مؤسس على تقليد اساليب فانسين .

وهناك قطاع مالي عالٍ كان يسند منافساً آخر لباته ، هو شركة (اكليبس Eclipse) التي هي صيغة جديدة للفرع الفرنسي لشركة « اوريان ترايدنغ » . وثروة هذه الشركة قد تخطتها ثروة شركة (البرق) التي أسّسها رجال اعمال دون ان يوسعوا مساحتها ولكنها مجهزة بدعامة كبرى : هي مساعدة جاسه . ان ثلاث سنوات من المحاولات جعلت هذا الرجل يملك مهنته تماماً ، هذا الرجل الكثير الاعتناء ، المعتل قليلاً ، والذي كان الاول في فرنسا باستعمال فرقةٍ متعاقدةٍ لمدة سنة ، والدائب على جعل ممثليه متقنين . وبذلك مهّد السبيل امام سيطرة نجوم السينما .

وبدأ جاسه عمله في شركة (البرق) بضربة معلم بفيلمه « نيك كارتر » اول فيلم بوليسي متسلسل . وهو تصميم لصيغة كان مستقبلها عظيماً . وكان هذا المنتج يأخذ ابطاله من الكتب الشعبية الاميركية ، ولكنه كان يرتجل السيناريوات ويسجّلها في العراء في الضاحية الباريسية . وقد نالت هذه السلاسل من الافلام الصغيرة (مئة متر تقريباً) نجاحاً عالمياً عظيماً . واصبح الممثل ليابل Liabel مشهوراً باسم نيك كارتر وكانت تعتريه الدهشة من

تلقيه رسائل غرامية آتية من زوايا العالم الاربع. ان عصراً جديداً للسينما قد افتتح .

وكان لباته منافسون آخرون في فرنسا « الشمس ، الأسد اللوكس ، رالاي وروبير » . وما من احـــد منهم كان يزعجه حقيقةً . ولكن باستثناء البرق وغومون ، فان على شركة فانسين ان تحسب حساباً للمنافسين الذين قويت شوكتهم في كل مكان من اوروبا او في اميركا .

ومع ذلك فلم تتأخر انكلـــترا في ان تعرف الكسوف في انتاجها لانها ظلت ذات صناعة يدوية ، فلم تلبث ان تلاشت تقريباً بسبب التصنيع .

***

كان وليم بول جد السينما البريطانية قد ثابر ، كميليه ، على صيغة قد تخطيت ولم تبق على قيد الحياة بعـد انحطاط سينما الأسواق العامة . وكان يفتخر بجيل فيلمه « صانع سيارات غير عادي » . وقد حدث له ان مال نحو الفيلم الاجتماعي في «متضايق من الفوضى» ويظهر في هذا الفيلم تأثير الثورة الروسية عام ١٩٠٥ كما في شريط لغومون يمكن ان يعزى لألفرد كولان ، وهو دفاع عن بحارة (بوتمكين) : « عصيان على ظهر دراعة روسية » .

وفي بريطانيا فإن الاتجاهات تكاملت أكثر مما تجددت . وفيلم « حياة شارل بيس » الذي اخرجه رواد الاسواق العامـة من الهاغار ، ثم منافسوهم « الموترشو » هو رغم بدائيته طرفة نوع « عمل – متنوع » المصوّر فيلماً ، بتقنيته المرنة وتمثيله المجنون .

ان الجنون يميز ايضاً اشرطة كلاراندون الهزلية حيث بشر فيلم « يوم الدفع » او « الوضيع الملبّك » بشارلي شابلن . شاب يلتقط رغماً عنه طفلاً متروكاً . فيتركه ، ويلقيه عنه ، ويغرقه ، ويجعله يقفز الى برميل صغير من البارود . وهذه القساوة الصبيانية التي لا تحمل على محمل الجد هي قساوة فيلم « نرسري ريمز » او « بونش اندجودي » .

وفيلم « الناجي بواسطة روفر » لهبوورث مطاردة كاملة مأساتية يُرى فيها كلب ينقذ فتاة صغيرة من خاطفتها ، وقد بيعت منه مئات النسخ . وهذه البيوع الكثيرة ، التي هي القاعدة عند باته ، كانت شيئاً شاذاً في الناحية الاخرى من المانش . وهبوورث هو احد المنتجين اليدويين الذي تجاوز اول سنة ١٩٠٨ . اما الهاغار والموتوشو رواد الاسواق العامة فقد زالوا واصبح سميث ووليامسون فنيين. وواترداو Watturdaw وكريك ومارتان ، وغومون هم موزعو افلام اكثر منهم منتجون . ويبقى شارل اوربان الذي ترك شركة (ورويك) سنة ١٩٠٣ ليؤسس شركته الخاصة : (اوربان ترايدنغ) .

ان هذا الاميركي المهاجر الى لندن ، المتكون في عصر لوميير لم يكن يؤمن مطلقاً بالاخراج . وقد اتخذ من هذه العبارة شعاره التجاري : **اننا نضع العالم تحت اعينكم** . وحوّل جهده الرئيسي نحو مشاهد الحوادث الجديدة والربورتاج الكبير . وطاف عماله ، من صانعي الربورتاج ، البحار واليابسة : اورميستون ـ سميث ، روزانتال ، جورج روجر ، ريدر نوبل ، ه . م . توماس ،

والفرنسي مسغيش Mesguich الذي صوّر في فيلمٍ اولَ مشاهد الثورة الروسية عام ١٩٠٥ قبل الشروع في الطواف حول العالم . واخيراً قدمت الشركة في قاعة موسيقية بلندن اول سلسلة كبيرة من الافلام العلمية « العالم غير المنظور » للاستاذ مارتان دونكان.

وكان لأوربان منافس ، هو بار كر من شركة وروبك الذي كان شعاره : **في كل مكان يحدث فيه شيء يكون بار كر هناك** وقد اتم هذا المدير الجسور للاجهزة وتقنيات معجزة ، كتبسيط المناظر التي اخذها لجائزة الخيل الكبرى في ليفربول وهو في عربته الخاصة من القطار الذي يقله الى لندن .

اما باته فلم يدع اوربان يسبقه . فتعاقد مع الدكتور كوماندون لتمثيل أفلام علمية تكسف افلام مارتان دونكان . واستبدل مشاهد الحوادث الجديدة الساذجة المحققة في الضاحية بواسطة زيكا او نونغه ووضع مكانها الأفلام التي بعث بها مراسلوه في جميع العالم . وهذا الانتاج غذى في باريس قاعة مخصصة : هي **باته جورنال** التي كانت مناهجها توزع في كل مكان منذ سنة ١٩٠٨ . لقد ولدت اول صحيفة مصورة فيلماً .. وتغلب باته على اوربان الذي اتجه نحو اعمال اخرى . ثم اندفع في مغامرة جديدة مع سميث الذي حمل اليه طريقة جديدة، الكينامكتور Kinémactor ومع وليامسون الذي صنع له آلات ومعدّات . وكان للسينما ذات الالوان الطبيعية تباشير حسنة في فيلم « دوربار دي دهلي ».

ولأجل هذا المشروع اخضع اوربان موزعه في لندن وباريس والمانية وأميركة الى شركة ذات تفوق فرنسي (اكليبس) التي لم

يكن لها نشاط شركة (اوربان ترايدنغ) .

ولم تستطع المزاحمة الانكليزية ان تزعج باته ، ولكنه راى منافسين يولدون في بلدان اخرى . فالاخراجات الاولى في اليابان (١٩٠٣) ، وفي الصين (١٩٠٨) ، وفي اسبانية (١٩٠٢) ، وفي تشيكوسلوفاكية (١٩٠٨) ، وفي بولونيا (١٩٠٨) ، وفي هولندا (١٩٠٦) وفي فنلندا (١٩٠٨) ، او في البورتغال (١٩٠٨) كان لها قليل من الاهمية الآنية . واذا كانت المانيا انتجت قليلاً من الافلام فان السينمات الروسية والدانيمركية ، والايطالية على الخصوص قد بدأت سيراً مكتسحاً سريعاً .

ان المنتج الروسي درانكوف بدأ سنة ١٩٠٨ بفيلم « ستانكا رازين » من اخراج روماشكوف وفقاً لسيناريو من وضع غونتشاروف . وبدأ سلسلة استعارت مواضيعها من التاريخ والحياة الشعبية ، ثم من الآداب الروسية . وكانت الوضعيات المالية الفرنسية قوية في روسيا ، ولم يكن على باته ان يخاف كثيراً هذا المنافس الشاب الناشىء . ولكن السينما الدانيمركية كانت مصدر تهديد .

وفي سنة ١٩٠٦ اسس اول اولسن Ole olsen ، وهو رائد قديم للاسواق العامة ، شركة صغيرة للانتاج ، (لانورديسك) ، وكان احد افلامه الاولى مشهد حوادث جديدة ، « صيد الاسد » . حيوان حقيقي (أحيل على المعاش) في معرض وحوش ، قد قُتل اثناء عملية صيد منظمة على شاطىء مزخرف باشجار نخيل اصطناعية . وشاهد الجمهور بعد ذلك تشريحه العنيف الشديد

الواقعية . ثم ان فيغو لارسن ، الممثل الذي قام بهذه المأثرة اتجه بعد ذلك نحو المآسي التاريخية او العالمية وقاد دون شك فيلم «الاتجار بالرقيق الابيض» الذي كان اول فيلم دانيمركي تجاوز نجاحه الحدود ، مؤمناً لهذا الانتاج الوطني فتحات كبيرة في البلاد السكندينافية والمانيا واوربا الوسطى ، حيث كانت السينما الايطالية لا تزال تكتسح المواقف .

وكان فيلوتيو البريني Filoteo Alberini هو الايطالي الاول الذي سجل سنة ١٨٩٦ امتياز جهاز اللقطات . وقاد اول إخراج ذي حشد كبير في فيلم « سقوط روما » (١٩٠٥) ، معيداً إنشاء حوادث سنة ١٨٧٠ . وقد حققت الشركة الصغيرة التي اسسها ارباحاً كبيرة بمناظر « زلزال سينا » ، واتخذت اسم (سينه Cinés) .

وايطاليا التي لم يكن لها اي تقليد سينمائي اجتذبت الاختصاصيين الفرنسيين باتفاقات مغرية ، امثال غاستون فل المنفصل عن باته ، وفرقة من المزخرفين ومديري الاجهزة الذين بدأوا افلاماً في روما لم تنشر بعد وكانت قد اخرجت في فانسين قبل ذلك بثمانية ايام .

وانتزعت شركة (إيتالا Itala) من باته الممثل الهزلي اندره ريد ، وامبروزيو تعاقد مع لبين Léppine الذي خلف فل Velle والذي وضعه باته الغاضب في السجن لانه نقل « اسرار الصنعة ».

وأمبروزيو المصور الفوتوغرافي القديم اصبح مديراً للاجهزة ونجح في السينما الايطالية ، بضربة المعلم الاولى ، بفيلمه « ايام

بومباي الاخيرة ، الذي دفع المدرسة الجديدة نحو الاخراجات الرومانية الكبيرة ، والمواضيع النبيلة ، ومختارات من شكسبير ودانتي ودوماس الاب .

وبدأت اميركا تستيقظ هي ايضاً . فأديسون الذي ظل وقتاً طويلاً يحتكر الاخراج نقل بشكل واسع عن منافسيه الاوروبيين . وحين منعته قوانين حقوق النقل عن هذا العمل ترك التقليد وهضم حقوق الغير الى نزع العلامة المميزة Démarquage على طريقة زيكا . واصبح ادوين س . بورتر ، وهو مدير قديم لاجهزة الحوادث الجديدة ، مديراً الاستديو .

وهذا المحقق ، الذي كان وحده في الولايات المتحدة ينتج آثاراً ذات قيمة ، لم يكن مع ذلك مخترعاً **الفيلم القصصي** الذي ابتدعه ميليه . ولا المونتاج الذي اكتشفه الانكليز ، ولا **الاعمال المتوازية** او **السينما الاجتماعية** . وفيلمه الشهير « حياة إطفائي اميركي » ، وهو شريط اخرق وبدائي جداً ، يبدو نقلاً عن فيلم لوليامسون ، وهو نفسه استوحاه قديماً من لويس لوميير .

وسيناريو فيلم « سلب القطار الكبير » الذي تناول وحوّر موضوعاً للموتوشو ، فيه كثير من الابتكار . وكان تقطيع هذا الفيلم الى مشاهد اقل تطوراً منه عند ج . ا . سميث او الفرد كولان ؛ ولكن هذا العمل ادخل في السينما جواً جديداً : هو ما يسمى (الغرب البعيد Far west) . وعرض بورتر هذا (العمل ـ المنوع) كحوادث جديدة منشأة ، الامر الذي جعله (في العراء على الاقل) يحطم القواعد المسرحية على طريقة ميليه .

وباتباعه الطريق الذي فتحه الانكليز واتبعه زيكا استعمل بعض الحيل كتقنية : المخبأ le cache يلعب دور شاشاتنا الشفافة وحركات آلة التصوير الدائرية Panoramique عندنا ، مكتشفاً كثيراً من الفائدة الدرامية (الحيل التي يهرب عليها اللصوص) . لقد وجد بورتر كل العبودية المسرحية في « ليلة الميلاد » او في « كوخ العم توم » الأمينين لجمالية ميليه .

وفيلمه « حلم أحد هواة الراربيت Rarebit » يستوحي في قسم منه سيناريو وحيل فيلم « حلم في القمر » لزيكا ؛ وفيلمه « كلبتومانياك مستوحى من الافلام « الاجتماعية الانكليزية » . لقد كانت شخصية بورتر لدنة جداً .

والجهد البدائي لشركة البيوغراف ، وقد درسه المؤرخون الاميركيون اقل من دراستهم لجهود بورتر ، يبدو ان له من الاهمية ما يعادل اهمية بورتر على الاقل . فماك كوتشون سبق ميليه بالاقتباس من فيلم « عشرون الف ميل تحت البحار » وحقق فيلم Ex Convict الذي نقله بورتر ، وانتج عدة افلام من نوع « الغرب البعيد » . وأتم تطوراً نهائياً في المطاردة الهزلية بفيلمه « اعلان زواج » المستوحى من انكلترا ، ولكنه مقلّد في فرنسا (عشر نساء لزوج واحد) .

والابحاث الاكثر ابتكاراً عن العصر البدائي الاميركي هي ابحاث شركة الفيتاغراف . كان يدير هذه الشركة ستيوارت بلاكتون الذي ظل طويلا المخرج الوحيد فيها . وفي سنة ١٩٠٥، وبعد نجاح فيلم «رافل اللص الشريف» فان شركة الفيتاغراف

بنت استديو كبيراً اشتغل فيه محققون عديدون في وقت واحد وتولى بلاكتون قيادتهم الفنية واستعملهم كمنفذين . وشرعت الفيتاغراف ، بتحريض منه، تصور مسرحيات شكسبير الرئيسية افلاماً في نفس الوقت الذي بدأت به ايطاليا . وبدت النتيجة غريبة . ففي سنة ١٩٠٨ شرع بلاكتون بعمل مبتكر ، بسلسلة شهيرة انطلق منها التقدم الفني الحقيقي للسينما الاميركية :**مشاهد الحياة الواقعية** .

وقد اشار فكتوران جاسه، في مقال نشر بعد اربع سنوات من بدء هذه السلسلة الى ان الانتاج الاميركي كان حتى ذلك الوقت مؤلفاً من **افلام غير مهندمة ، وذات صفة فوتوغرافية رديئة ، ممثلة بشكل قبيح ، ومن أشخاص لا ارجل لهم ، ومن سيناريو غير مفهوم ، ومضحك** ؛ وان مسرح شكسبير قد شوهه اليانكز (١) وان افلام رعاة البقر وحدها نالت بعض النجاح بسبب لونها المحلي الصحيح . ولكن طرفاً خرجت مع **مشاهد الحياة الواقعية** ، فارضة نفسها ليس على الفنانين فقط بل على سواد الشعب . وعلى المخطط الفني فرضت في الاستديوهات الفرنسية الاستعمال القياسي للمخططات المقربة التي عُمدت على شرفهم باسم **مخططات اميركية** . ويثير الاعجاب فيها تمثيل الفنانين الخفيف ـ الذين ألفوا فرقة لأول مرة والسيناريوات **بتجنبها الخيوط ، والمفاجئات المسرحية ، محاولة الاقتراب من الحياة الواقعية ، مع نهاية سعيدة** .

---

(١) ـ اليانكز : اسم يطلق على مجموع الاميركيين . ـ المعرب ـ

ان شركة «الفيتاغراف» هيأت بذلك نجاح غريفث ، وبدت انها فتحت الطريق امام استعمال عقلي للمونتاج ، التقنية التي خلقت مبدئياً في انكلترا .

وبنى اديسون وشركة البيوغراف مع شركة الفيتاغراف استوديوهات في نيويورك ، وحذت حذوهما شركة سيلغ selig في شيكاغو بينما تخصصت شركة اساناي essanay في افلام «الغرب البعيد» الاميركية .

وسارت الفرق في غزواتها تمثل في ديكورات طبيعية ، وابتدأ التفتيش في ضاحية نيويورك اوشيكاغو ، ولكنهم بلغوا فيما بعد فلوريدا والبحيرة المالحة الكبرى ، والجبال الصخرية ، وكالفورنيا نفسها ...

اما اوروبا الفخورة بقوتها فقد كانت تحتقر وتجهل مقدار الشوط الذي قطعه هؤلاء الرواد .